الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

الصورة التشخيصية في ديوان صهيل العشق، للشّاعر الدّكتور أحمد المفدي

إعداد

الأستاذ الدكتورة نجود عطاالله الحوامدة

جامعة جرش ، كلية الآداب

المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف الجوال (00692796159698)

drnojoud.hawamdeh@gmail.com

الصورة التشخيصية في شعر الشاعر د. أحمد المفدي

الملخص

إعداد /أ.د. نجود عطاالله الحوامدة

الأردن ـ جامعة جرش

الشّعر كما وصفه النقاد العرب القدامى كلام جميل موزون ومنمّق، كان وما يزال ينجذب إليه القارئ العربي لما يتضمّنه من صور فنية جميلة،وموسيقى داخليّة وخارجيّة تُحدث نغما يحرّك الإحساس وترق له الأذن، فهو مرآة عصره يعكس لنا المنظور الإيديولوجي لقائله و يشي بحالته النّفسيّة والاجتماعيّة والفكرية .

سأتناول في دراستي الصورة التشخيصية في شعر (الدّكتور أحمد المفدي) ، لأن شعره تتجلى فيه جماليّة اللّغة،وقوّة الفكرة، وعلوّ الموسيقى الشّعريّة ، و لا شك في أن شعر(المفدي)، بخصائصه وموضوعاته المعروفة ،وعلى الرغم مما دفع الدراسات السابقة للبحث في شعره إلا أنه تبقى فسحة للنظر والتمحيص تستحق الدراسة والمتابعة في الظواهر الفنية والشعرية والأيديولوجية، فشعره حافل بمفردات الجملة الشعرية والصور الفنية المتنوعة.

وبذا تبرز أهمية موضوعي الذي آثرت دراسة الصورة التشخيصية لمّا تجلت في مفردات الجملة الشعرية في الديوان،التي شخصت أحاسيس كل ما حول الشاعرمن الموجودات وأنسنتها. فكونت أحد العوامل التي أسهمت في تشكيل ظواهر أمر الإبداع والتجديد والابتكار، في شعر(المفدي) الذي سيعنى البحث بظواهر الإبداع فيه.وإذا كان(المفدي) مثلاً لهذا الشعر المتأثر بهذه البيئة، فسيكون من هدف هذه الدراسة تقصي الصور التشخيصية في شعره، وتلمسّ آثار ثقافة الشاعر، وطبيعة نزعاته الفكرية والعاطفية في تجلياتها .

وبعد أن اطمأن البحث إلى توافر صور التشخيص في شعره ، استوجبت دراسته ضمن المنهج الوصفي في تعيين النماذج الخاصة بوصف الصورة التشخيصية، والاستقصائي لجمع الجمل الشعرية التي قدمت الصور التشخيصية،أما المنهج التحليلي فقد ارتكز في تحليل الأبيات الشواهد على الصورة في مضمونها والاستدلال على جماليات تجليات التشخيص والإسقاط في ثناياها. ومن تجليات الإبداع الملحوظة في شعره، الصورة التي هي في طليعة ظواهر الإبداع في القصيدة، لقدرتها على تجسيد أخيلة الشاعر، ومطواعتها في التعبير عن دواخله، وتصوير تجربته الذاتية، فضلاً عما تشيعه في القصيدة من جمال.

وللصورة، في شعر(المفدي) عموما، مثل هذا التأثير في تشكيل ظواهر الإبداع، بل فيها من المزايا الفنية ما مكّنها من أن تمنح شعره مزية الشاعرية. وأول هذه المزايا أنها غالباً ما يمنحها القدرة على الإثارة والإيحاء، إذ تسهم الصورة في إبراز التشخيص الذي تحفل به صور جمله الشعرية، فتبدو ضاجة بالحركة والحيوية وتصاحب التشخيص الذي يمنح الصورة

الشفافية التي ترفدها بإمكانيات مضافة للإعراب عما تنطوي عليه من دلالات وإشارات الذي يعمد إليها (المفدي) أحياناً، ليكون في مستوى فني يمتلك فيه المزيد من وسائل الإيحاء والتأثير والإدهاش. وهذه من وظائف الفن الإبداعي .

ولدى اقترابي من عالم شعر(المفدي) وعلى وجه الخصوص الديوان موضوع الدراسة، أثار دهشتي لما فيه من نزعة إنسانية، تتمثل في تماهي مفرداته بأنسنة الموجودات من حوله.لذلك سيعنى بحثي بهذه الجوانب الإنسانية التي شخصها وافتن الشاعر في إبرازها، ومنحها بعدها الشعوري و العاطفي والإنساني .

كان مدخلي إلى التشخيص،في ديوان الشاعر،عبر الصورة، فإذا كانت الصورة مرآة تنعكسُ عليها البيئة التي يعيشها الشاعر بكل مظاهرها، فإن التشخيص هو التشكيل المؤهل لتصوير عواطف الشاعر ومشاعره الإنسانية تجاه بيئته، والتعبير عما يتهيأ له من أن مفردات كل ماحوله تشاركه هواجسه وتنفعل بانفعالاته. ومعنى ذلك أن عنصر التشخيص يتولى تصوير الجانب الانفعالي والنفسي الإنساني من الصورة.

الكلمات المفتاحية / الشعر الحديث، النقد، الصورة التشخيصية

الصورة التشخيصية في ديوان صهيل العشق ، للشاعر أحمد المفدي

المقدمة

الشّعر كما وصفه النقاد العرب القدامى كلام جميل موزون ومنمّق، كان وما يزال ينجذب إليه القارئ العربي لما يتضمّنه من صور فنية جميلة،وموسيقى داخليّة وخارجيّة تُحدث نغما يحرّك الإحساس وترق له الأذن، فهو مرآة عصره يعكس لنا المنظور الإيديولوجي لقائله و يشي بحالته النّفسيّة والاجتماعيّة والفكرية .

سأتناول بالدّرس ديوان (صهيل العشق) تراتيل للشّاعر المغربي (الدّكتور أحمد المفدي) ، لأنّ هذا الدّيوان تتجلى فيه جماليّة اللّغة،وقوّة الفكرة، وعلوّ الموسيقى الشّعريّة، وصدق العاطفة في الحس الوطني للمغرب والوطن العرب بعامة ، و لا شك في أن شعر(المفدي)، بخصائصه وموضوعاته المعروفة، هو نتاج مجموعة عوامل في طليعتها الهم الوطني والعروبي. الذي التحم فيه الشاعر وبأنشطته المختلفة الفكرية والفنية والأدبية، فالإنسان ابن مجتمعه، وإبداعه بمختلف ألوانه تعبير عن روحها وتصوير لمظاهرها.

وعلى الرغم مما دفع الدراسات السابقة للبحث في ديوان الشاعر(صهيل العشق)، إلا أنه تبقى فسحة للنظر والتمحيصهذا الديوان تستحق الدراسة والمتابعة في الظواهر الفنية والشعرية والأيديولوجية، فهو ديوان حافل بمفردات الجملة الشعرية والصور الفنية المتنوعة، وبذا تبرز أهمية موضوعي الذي آثرت دراسة الصورة التشخيصية لمّا تجلت في مفردات الجملة الشعرية في الديوان،التي شخصت أحاسيس كل ما حول الشاعرمن الموجودات وأنسنتها. فكونت أحد العوامل التي أسهمت في تشكيل ظواهر أمر الإبداع والتجديد والابتكار، في شعر(المفدي) الذي سيعنى البحث بظواهر الإبداع فيه. وقد أتى الشّاعر القدير في ديوانه هذا على الصور الفنية الجميلة التي اتكئ عليها في قصائده، وتبدت جلية الأثر في البوح عن باطن النّفس و أسرارها.

وإذا كان(المفدي) مثلاً لهذا الشعر المتأثر بهذه البيئة، فسيكون من هدف هذه الدراسة تقصي الصور التشخيصية في شعره، وتلمسّ آثار ثقافة الشاعر، وطبيعة نزعاته الفكرية والعاطفية في تجلياتها .

وبعد أن اطمأن البحث إلى توافر صور التشخيص في الديوان، استوجبت دراسته ضمن المنهج الوصفي في تعيين النماذج الخاصة بوصف الصورة التشخيصية، والاستقصائي لجمع الجمل الشعرية التي قدمت الصور التشخيصية،أما المنهج التحليلي فقد ارتكز في تحليل الأبيات الشواهد على الصورة في مضمونها والاستدلال على جماليات تجليات التشخيص والإسقاط في ثناياها.

ومن تجليات الإبداع الملحوظة في هذا الديوان، الصورة التي هي في طليعة ظواهر الإبداع في القصيدة، لقدرتها على تجسيد أخيلة الشاعر، ومطواعتها في التعبير عن دواخله، وتصوير تجربته الذاتية، فضلاً عما تشيعه في القصيدة من جمال.

وللصورة، في شعر(المفدي) عموما، مثل هذا التأثير في تشكيل ظواهر الإبداع، بل فيها من المزايا الفنية ما مكّنها من أن تمنح شعره مزية الشاعرية. وأول هذه المزايا أنها غالباً ما يمنحها القدرة على الإثارة والإيحاء، إذ تسهم الصورة في إبراز التشخيص الذي تحفل به صور الديوان، فتبدو ضاجة بالحركة والحيوية والنشاط، وتصاحب التشخيص الذي يمنح الصورة الشفافية التي ترفدها بإمكانيات مضافة للإعراب عما تنطوي عليه من دلالات وإشارات الذي يعمد إليها (المفدي) أحياناً، ليكون في مستوى فني يمتلك فيه المزيد من وسائل الإيحاء والتأثير والإدهاش. وهذه من وظائف الفن الإبداعي .

ولدى اقترابي من عالم شعر(المفدي) وعلى وجه الخصوص الديوان موضوع الدراسة، أثار دهشتي لما فيه من نزعة إنسانية، تتمثل في تماهي مفرداته بأنسنة الموجودات من حوله.لذلك سيعنى بحثي بهذه الجوانب الإنسانية التي شخصها وافتن الشاعر في إبرازها، ومنحها بعدها الشعوري و العاطفي والإنساني .

كان مدخلي إلى التشخيص،في ديوان الشاعر،عبر الصورة، فإذا كانت الصورة مرآة تنعكسُ عليها البيئة التي يعيشها الشاعر بكل مظاهرها، فإن التشخيص هو التشكيل المؤهل لتصوير عواطف الشاعر ومشاعره الإنسانية تجاه بيئته، والتعبير عما يتهيأ له من أن مفردات كل ماحوله تشاركه هواجسه وتنفعل بانفعالاته. ومعنى ذلك أن عنصر التشخيص يتولى تصوير الجانب النفسي الإنساني من الصورة.

استأثرت الصورة باهتمام النقاد منذ القديم، لما لعناصرها من أثر في تشكيل القصيدة الناجحة، ومن دور كبير في التعبير عن رؤى الشاعر وأخيلته، فهي أطوع أدواته في تجسيد هذه الأخيلة.ويتأتى ذلك لها من كونها مصوغة بوساطة الخيال، فلا صورة بلا خيال يجمع بين عناصرها، ويمنحها الجمال والإثارة والإدهاش، ومثلما يلعب الخيال دوره في تشكيل الصورة، يحتاج المتلقي الخيال كذلك ليدرك أبعاد الصورة فيتذوق جمالياتها ومقولاتها ، ومثلما أسهم نقاد العالم القدامى والمحدثون في دراسة الصورة، وبيان دورها في تحقيق شعرية النص، كان للعرب القدامى والمعاصرين إسهامات مشهودة في هذا المضمار.

أما القدامى من النقاد والبلاغيين العرب، فقد كانت جهودهم واضحة في فهم الصورة وتحديد أهمية معناها في التعبير الشعري. وفي مقدمة هؤلاء (الجاحظ) و (عبد القاهر الجرجاني) و (حازم القرطاجني)[1]، وللعرب المعاصرين جهودهم في مجال البحث في الصورة وأهميتها في نجاح القصيدة، ومن هؤلاء: (مصطفى ناصف) و (علي البطل) و (عبد القادر الرباعي) و (جابر عصفور)[2]، وغيرهم.

لقد انصب جهد أغلب الباحثين، دارسي الصورة لدى الشعراء، على تثبيت مقولات النقاد العرب القدامى والمحدثين والنقاد الغربيين، أكثر من اهتمامهم ببيان عناصر الصورة وأطرافها، وأسلوب جمع المختلف والمتنافر من هذه العناصر والأطراف لتشكيل الصورة لدى الشعراء،وقد تراكمت هذه المقولات، وأصبحت متداولة وميسورة في الدراسات المعاصرة، ومن ثم لم أجد مسوّغاً لإعادة ذكرها، واكتفيت بالإشارة إلى أهم النقاد وذكرتهم في الهامش.

وإذا كان من الضرورة لاستحضار بعض التعريفات تذكيراً للمتلقي، فسأختار تعريفات يسيرة من نقاد غربيين، يأتي في مقدمتهم (سي دي لويس)، لقصر تعريفه بالصورة، مع توافر الدلالة ووضوحها، يرى (سي دي لويس)، في تعريفه الموجز للصورة: أنها عبارة عن "رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة"[3]، ويعدها الملكة التي تبث الشعرية في النص[4]. وتعريف (لويس) هذا يعقد صلة ما بين الرسم والصورة فيوضح مفهومها.

ومن التعريفات التي تقرّب مفهوم الصورة إلى المتلقي ما جاء بحسب رأي (جورج ليكوف) في الصورة، فقال: "ثمة أنواع من الاستعارات التي تعمل لرسم صورة ذهنية عرفية"[5]، إذ إن التعويل على الاستعارة، في فهم تشكل الصورة، يكشف عن آلية هذا التشكل، لذا فقد أخذ النقاد الغربيون يبحثون في آليات عمل الاستعارة على تشكيل الصورة.

وبذا فالصورة أقدر عناصر الإبداع وأكثرها طواعية على تجسيد أخيلة الشاعر، والتعبير عن مشاعره ورؤاه، وهي من أهم أدواته في رسم أخيلته، وتجسيدها على هيئة تشكيلات مجازية، ومن هنا يكون وجودها في القصيدة علامة إبداع، وبسبب هذه الأهمية، وفي ضوء هذه المفاهيم، سيمضي بحثي في طريق تتبع مكونات الصورة وعناصرها وآليات تشكلها، ومصادر هذه المكونات أو العناصر، في الصورة التشخيصية،

---

[1] () للوقوف على آراء هؤلاء النقاد، انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، 1938، 3/131-132؛ والجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، 1945، ص 40-41؛ ودلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، 1994، ص 172، 323؛ والقرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تونس، 1996، ص 89.

[2] () للوقوف على آراء هؤلاء النقاد العرب، انظر: مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر، 1981، ص 8؛ وانظر: علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري؛ وانظر أيضاً: عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، مكتبة الكتاني، اربد، 1995، ص1؛ وانظر أيضاً: عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، اربد، ط1، 1980، ص 177، 180؛ ثم جابر عصفور، الصور الفنية في التراث النقدي والبلاغي، القاهرة، 1978، ص7.

[3] () سي دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم، العراق، 1982، ص 23.

[4] () المصدر نفسه، ص 73.

[5] () جورج ليكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة طارق النعمان، مجلة إبداع، العدد (13)، 2010.

ومفرداتها ومظاهرها من طرف، والإنسان وصفاته ولوازمه وأعضاء جسمه وعاداته الخاصة من طرفٍ آخر. فضلاً عما تقتضيه متابعة آلية التشكل من التنبه لأسلوب الشاعر في صناعة هذا التشكّل.

يوصف التشخيص بأنه قوة يمنح بها الشاعر الشيء حياة داخلية وشكلاً انسيابياً، عن طريق إسباغ الحياة الإنسانية على ما لا حياة له من الجمادات والكائنات المادية غير الحية، وبأسلوب التشخيص يتم إبراز الجمادات والمجردات من الحياة، من خلال الصورة، بشكلٍ كائن متميز بالشعور والحركة والحياة ، والتشخيص كثير في الشعر المتميز بالإجادة، وبخاصة شعر الرومانسيين، الذين كانوا يتخيلون الطبيعة كلها، في جبالها وحقولها وأشجارها وصخورها، كائنات تشاركهم مشاعرهم القلبية، فتحزن لحزنهم، وتفرح لفرحهم[6].

وإذا كانت الصورة أهم عناصر بناء القصيدة، بوصفها مبعث الجمال والفتنة واللون والخيال في القصيدة، فإن الصور التشخيصية أجمل الصور وأكثرها سحراً، فالتشخيص يبث الحياة والحيوية والحركة في الصورة، ذلك لأن (الإنسان) بحيويته يمثل ركناً في التشكيل الصوري المشخّص.

أما الركن الآخر في الصور التشخيصية، فتمثله مفردات الموجودات من الطبيعة الحياتية ، الناطقة والصامتة، من: طيور وحيوانات و ورود وأشجار وأغصان وحقول وجداول وليل ونهار وربيع وغيرها...

---

[6]() انظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص 67.

ثبت المصادر والمراجع

المصدر:

أحمد المفدي : ديوان صهيل العشق ، دارالبوكيلي، القنيطرة ، 1996

المراجع

- إبراهيم سلامة: تيارات أدبية، القاهرة،1951.
- إسماعيل سعد شلبي: البينة وأثرها في الشعر،دار النهضة،القاهرة،1972.
- أوستين وارين،ورينه وليك: نظرية الأدب،ترجمة محي الدين صبحي وحسام الخطيب،القاهرة 1962.
- جابر عصفور:الصورة في التراث النقدي والبلاغي، 1974.
- جبور عبد النور:المعجم الأدبي ، ط1،دار العلم للملاين،بيروت،1979.
- جورج ليكوف: النظرية المعاصرة للاستعارة،ترجمة طالرق النعمان، مجلة إبداع، عدد2010،13.
- حازم القطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تونس،1996.
- سي.دي.لويس: الصورة الشعرية،ترجمة أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري سليمان وحسن إبراهيم،العراق،1987.
- صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات،ط2،بيروت،1983.
- عاهد ماضي:ألفاظ الألوان في العربية، دراسات لغوية،دمشق 2000م.
- عبدالقاهر الجرجاني: أسرار البلاغة،تحقيق هـ .ريتر،وزارة المعارف، استانبول،1945.
- عبدالقاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت،1994.
- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعرأبي تمام، إربد،ط الأولى، 1980.
- عزالدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر وقضاياه الفنية والمعنوية،بيروت،1981.
- عمرو بن بحر(الجاحظ):الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون،ط3. 3/131-132، 1938.
- علي البطل:الصورة في الشعر العربي حتى آواخرالقرن الثاني الهجري،طبعة دار الاندلس للطباعة والنشر،1980.
- مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر،1980.
- كتاب جماعي : قبس من البلاغة المغربية منارات الخطاب الشعري عند أحمد المفدي ، ط1، مطبعة بلال، بلا تاريخ نشر، مقالة ياسر محمد عالم "سيميائية الخطاب الصوفي لدى الشاعر ،قراءة في ديواني صهيل العشق و مملكة الحروف"

،ويجمع الشاعر المبدع بخياله الخلاق، بين الإنسان أو أحد أعضاء جسمه أو إحدى لوازمه، وبين إحدى مفردات الطبيعة، ليكون من ذلك الجمع التشخيص.

يقف الدارس والقارئ للإبداع الشعري لشاعرنا القدير(الدكتور احمد المفدي) أمام موسوعة شعريّة فذة وغنية زاخرة باللغة المختارة وبالدّلالات والمعاني الشعرية حينا،ثم نتنقل عبر ثقافته ومرجعياته الفكرية والدّينية والوطنية والسياسية حينا آخر فنطوف معه في بروجه الخاصة وعالمه الذي يريد في كل دواوين شعره لافي في هذا الديوان فحسب.

(صهيل العشق**) ،كما تبرزه هذه الدراسة ديوان مترع بقيم نبيلة، وهو ديوان ثقافي نسقي يتوسل بجماليات اللغة وتشكيلاتها المجازية المتماهية التي تشي في بناء عوالم غرائبية وعجائبية وفضاءات نسقية لامتناهية، فالصّور الفنية واللّغة المميّزة شاهدة على النسق الثقافي والفني والشعري، جعلته ديوانا في غاية الرّصانة و الصّدق والجدة والإبداع.**

يطالعنا التشخيص في هذا الديوان، حيثما أجلنا النظر في قصائده، فقصائده مبنية على الصورة التشخيصية، في محاولة ظاهرة من الشاعر لإضفاء شيء من الآدمية على مفردات مظاهر الطبيعة من حوله من مكان وفضاء كوني وأشجار وزهور وطيور وحيوانات وجمادات وغيرها من الموجودات..

وقال الشاعر في قصيدة(السيرعلى ضفاف النسيان) مخاطبا : "يا أمَّـةَ مَن نامُـوا..... ما فيكِ من الأنوُرِ يَـكفيكِ إذَا حَـتْحَتْكِ العصفُ سرابَـا.....

لما فاض الألقُ المُرْخَى من أطرافِ الحاضِرِ أشطانَ ضياءٍ ورُواءْ....

وتدلَّـتْ أعناقٌ شاحبةٌ.... تنساحُ على الرملِ فتسفيها ريحُ الـغَضَـبِ....."

خاطب الشاعر الأمة النائمة التي تدلت أعناقها فانسفحت على الرمال حتى سفتها ريح الغضب ،وهنا شخص الشاعر الريح التي تمكن منها الغضب ولايخف علينا بأن الغضب من لوزام البشر . وفي صورة أخرى قال الشاعر:

"يا من تَـحتجزيـنَ بعينَـيْـكِ شهابَـا يتنَـوَّرُ في السدفةِ أنداءً وإهابَـا

وسنابيلَ سناءْ.... لمّا صدِئتْ أرحامُ التاريـخْ يبستْ أثْـدَاءُ الليل على أَرصفةِ المَـمشَـى "

في هذه الصورة **أنسن التاريخ ومنحه االصفة الآدمية فجعل له رحما صدئة لم تنجب للأمة ما يستحق التنوير والمهابة وطال الانتظار، فيبست أثداء الليل ، وبذلك أنسن أنسن التاريخ وجعل له رحما وانسن الليل وجعل له أثداء جفت ولم تلق من تستمر به الحياة على أرصفة الممشى.**

ونادى الشاعر قائلا :

يا عاصرةَ العُـثْـمِ ... أَقِلِّـي اللومَ ، فَـلَـمْ

يَـبْـقَ سِوَى سائمةٍ مَـعلولَـهْ.... ترعَـى نَكَدَ الـقَيْـصومِ وأحلامَ طفولَـهْ

وفي صورة تشاؤمية ينادي الشاعر على عاصرة العثم ، (والعُثم)في اللغة ، عثم العظم : انجبر من غير إستواء، وعثم الجرح : يبست عليه قشرته ولم يبرأ بعد .وتمثل في هذه الصورة منتهى التشخيص الانفعالي في أعماق الشاعر فطالب بأن تقل اللوم على (السائمة المعلولة) ترعى الكلأ المباح من نكد القيصوم الذي منحه صفة النكد الآدمية ، ولم يبق لهذه السائمة سوى نكد القيصوم واحلام الطفولة، **وهنا سمح الشاعر لنفسه أن يقتحم عالم السائبة ويتغلغل في أعماقها فأية أحلام تحلمها هذه السائبة ؟، إنها صورة تشخيصية مركبة من الانفعال والنكد للقيصوم وحتى السائبة شخصها و أنسنها وحملها الفرصة لأن تدرك وتشعروتعيش احلام طفولتها لتحقيق أمل ما ، فهل يتحقق لها الأمل ؟ .**

ومن الصور المكملة للمشهد السابق أشار الى صورة تشخيصية تكونت في قوله:

* هل يَسْتَقْطرُ في فَمِ مَنْ ظَمِئَتْ أحشاؤهُ قِطْراً وسَرابَا...
أم يَغزلُ منْ يَدكَ : الحَادي آلاءً في أحداقِ عِتاقِ النُّوقْ....

يُرقِلها إيقاعُ حُداءٍ..... وسياطُ الرملِ الداعصِ مَشلولَهْ...!؟

فقال متسائلا متعجبا متابعا لتشخيص كل ما في الطبيعة من حول السائبة ،فأنسن سياط الرمل الحار وجعل لها يدا كيد انسان داعص لكنها مشلولة لا تقو على الحركة لأن حرارة الرمل شلتها عن الحركة .

وهنا صورة تشخيصية أشار الشاعر في هذه الأبيات الى الليل المعتكر فقال:

" بين البَدْءِ وما كان نهايَهْ...لما ينطفئُ النجمُ ويَعْتكرُ الليلُ على
قارعةِ الصحْوِ علاماتٍ. "

حينما يبدأ الليل بالرحيل وينطفئُ النجم معلنا بداية انبلاج ضوء النهار يعتكر لون الليل ويبدأ النهار خطواته على قارعة الصحو ، إنها صورة تشخيصية في معالمها واضحة الأنسنة، فقد أعمل خيال الشاعر على تكليف النجم والليل القيام بسلوكيات آدمية .

وفي صور متفرقة من ابيات القصيدة نلحظ فيها الأنسنة جلية (فالنهر الهمجي من البهتان) يقوم بحركات هوجاء كإنسان عديم اللياقة غليظا يجهل قواعد السلوك ، ولن يكون ذلك السلوك إلا عند الانسان، ومن صور التشخيص قوله في صورة (الرفْضُ الساخِرُ) فجعل من الرفض انسانا ساخرا مستهزا، مكنه الشاعرمن الادراك والسخرية وحمله الاحساس الآدمي لأن يرنو متأملا متطلعا للآ تي متفائلا ليورق الزهر والتجديد . **وفي هذا تشخيص لقدرات مخصصة للانسان، فالشاعر هنا حمّله هموم البشر والسقم،وأسند للموجودات من الطبيعة حوله الكثير من الأفعال الآدمية وقد كلفها الشاعر رامزا إلى الفعل القمعي الذي يؤرق الشاعر فأسقط مشاعره على الموجودات من حوله قناعا آدميا ليبتابع القول :**

" فاختاري يَا سَيِّدَتِي....أيّهُما شئتِ إذا أوْقَدَتِ الرغبةُ في عينَيْك عَناءْ..

ولْتَحْترسِي أنْ تَنساحِي خبراً منبوذاً ..ينْجرُّ على أجنحةِ الصبحِ إلَى

تَـرْتِـيـل الـصَّـمْـتِ بأقْـبِـيَـةِ الـسَّـاحِـرِ (بُـذَا)...يسري مَـيْـمنةً... أو يُزجِـي مشْأمَةً أنْـوَاءْ...." وفي صورة (ترتيل الصمت)جماليات الصورة التشخيصية والحركية وغاية في ادراك الصمت لأن يرتل ويتأنى متمهلا في سيره نحو أقبية المجهول يمينا ويسارا. فصار الصمت آدميا ينتقي حركاته وسسلوكه .

في قصيدة (بَـراءَةٌ) قال الشاعر:

"سِرْنا خفافَ الصافنات فأدْلجتْ في الدّوّ يُرقِلُها الصدَى المتواصلُ وتَمنطقَتْ بالصبرِ يحفزُها السُّرى ... والليل مرخى (والذئاب تناضلُ) عَمّنْ تنامى السُّحْتُ في حَـدقاتِـهِ

وتَـراختِ الجنباتُ ، هل سَـنُواصلُ...؟ مَـنْ يُـوقدُ النارَ المقَـدَّسةَ الشَّظَايا "

وهنا أنسن الشاعر الصدى في قوله:(يُرقِلُها الصدَى) فقام الصدى بفعل انسان رقل الصافنات في الفلاة الواسعة ،ولكن الصافنات (تمنطقت) متحزمة بالصبر،حفزها السُرى على التحمل والصبر، فـ (الاعصار يعشق والومضة تتمايل) انها أفعال انسانية ،فالشاعركلف الصدى والسرى لأن يدرك قدرة الصبر والاحتمال كما يدركه الانسان، ويستمر الشاعر مستدعيا معجم الطبيعة فالاعصار يعشق والومضة تتمايل كما يتحرك ويهتز الانسان، فأقرن الصورة الحركية بالصورة اللونية اكتملت في صورة تشيخصية أنسن فيها المفردات .
في قصيدة (حَـدائِـقُ الصحْـوِ) قال : " يا أيتُـها الظَّـبْـيَـةُ

وانْـهمِـرِي بالحُنْوِ لعَـلَّ الحُنْوَ المورقَ يُـؤنسُـنِـي... "

يخاطب الشاعرالظبية مجردا منها شخصا علّها تسمعه فيطلب منها الدفء وان تنهمر عليه حبا وحنانا لعل حنوها يؤنسه فتكون معادلا موضوعيا لما يريد في الظبية تتكافأ الحس الانساني بما يحتاجه من الحنو، و(تَـقُـولُ بهاؤُكِ خَـيْـمَـةُ أوْتَـادِي) وهنا تكتمل الصورة التشخيصية في الحوار والسؤال والاجابة مع المتحاوريْن ، ويواصل الصور التشخيصية مع الليل فقال متسائلا:

"من يَـقرعُ أجراسَ الغُـربَـةِ يَـعصرْ في نفسهِ أحْـزانَـهْ.....
هل فقد الليلة أقرانهْ... صوتك أحمله في القلب أمانهْ ... فلعلّهُ يَـحْـرُسُـنِـي"

شخص الشاعر الليل وأسقط عليه من المشاعر الإنسانية ليواسي غربته التي تعادل غربة الليل الذي شعر بوحدته ،فأنسن الليل متشاركا معه وحدته وشعوره بفقد الأقران،فالأقران من لوازام البشر وحس الحياة الآدمية.وفي نهاية القصيدة خاطب الشاعر الظبية مشيرا الى (الغيمة الحُبلى) مستشعرا حالها آملا بحلم قادم فقال:

" تَـبْـحَـثُ عَـنْ شيءٍ ضَـاعْ.... كرذاذٍ يَـهْـمِـي سَحَرًا...
في الـنَّـفْـسِ المهمومةِ ... والغيمةُ حُـبلَـى ... لكنْ لَـمْ تُمطرْ...."

فالغيمة هنا محملة بالأمل القادم شخصها الشاعر وحملها امانة العطاء الأمل القادم واكتمل تشخيصها برغبه الشاعر بولادة الحلم و سيكتمال تشخيص الغيمة فتسقط مطرها ويهمُ الرغد المنشود لكن الغيمة لم تمطر ومزال الشاعر بانتظاتر الأمل.

ونلحظ التشخيص المتكامل في صورة انسانية قالها الشاعر:

" لكنِّـي أرتاحُ وفي الـقَـلْـبِ صفاءْ.... يَـنساحُ مَـجَـرَّةَ أَنْـوارٍ وَشِـهابَـا....

والصوتُ الماردُ يَـرْفِدُني فَيَوُزُّ الصَّـامِـتَ أزّاً وعَـنَـاءْ.... لَـكِـنْ قد تَـطلعُ منْ قَـدْ حَـاجِـبِـكَ الشمسُ عليلةَ

أجْـفانٍ مِـنْ شفَقٍ سَفَكَ الشدوُ على مَـرْقَـدِهِ الشّعْرَ غِناءْ "

وفي صورة مستوحاة من فضاء السماء بما فيها من الشمس والشفق،يستعير الشاعر صورة الفعل الكوني في غروب الشمس الطبيعي،فنلحظ الصفات الانسانية التي لجأ إليها في تلك الأبيات (حاجبيك ، الشمس عليلة ، أجفان الشفق)، بمهارة جمالية شخص الموجودات من الطبيعة وأضفى عليها حسا انسانيا فالشمس بدت عليلة في غروبها كإنسان بدت عليه علامات المرض والهدوء تبدت عبرأجفان الشفق المطبق على شدو وغناء رقيق رقت له الشمس وترنمت بصوته،وهذا لن يكون إلا لانسان يترنم بسمعه ويشعر بلذة الترنيم من حوله **،إنها صورجميلة شخّص الشاعر الشمس، وصورها بالعليلة ،هذه الصورة الفنية المركبة تتنازعها الصور المتعددة من الصور : اللونية بين الإشراق والعتم و الحركية والسمعية في قوله :"** الشدوُ على مَـرْقَـدِهِ الشّعْرَ غِناءْ **"،وجميعها ترتكز على التشخيص للفعل الآدمي.**

في (قصيدة ألقاك غدا)، قال الشاعر:

" هل يَـنْـحسرُ الموجُ المجنونُ عن التُّرَعِ المسقِيِّـةِ أمْ..

تَسْـبِـيـهِ فَـراغَـاتُ الوَجْـدِ سنَـابِـيلَ سُـهَـادِي...!؟ الفَجرُ المُـورِقُ عِـشْـقـًا "

وكعادة الشاعر يؤنسن موجودات الطبيعة من حوله فهذا الموج المجنون بتقلباته العشوائية ،والوجد سبى سنابيل نوار القمح في سُهدها، وكان الفجريورق عشقا ينتظرأملا مشرقا .في هذه الابيات تكتمل الصور الطبيعية المركبة مابين الموج المجنون في تلاطمه وحركاته الهوجاء التي أنسنها واضفى عليها من الصفات الآدمية فأصبحت السنابيل نُوار السثهاد في خيال الشاعر تسبي الوجد وتشغله بالأرق ، حتى جعل الفجر يورق عشقا يشعر بلوعة الفراق ، فكل موجودات الطبيعة غلفها الشاعر بالحس الانساني وأعطاها من المشاعر والسلوك الانساني لستشعر الحياة . فقال أيضا :

" يَـلتقطُ القولَ النازفَ ـ أنفاساً ـ يَـغمِسُـهُ

مَـهْـروقاً في جَـسَـدِ اللغةِ الـولْـهَـى..."

وتمكن الشاعر بخياله من أن يجعل للقول النازف أنفاسا في (جسد اللغة الولهى) المتحيرة من شدة الحب

أما قصيدة (صهيل العشق والكأس زلاع): في هذه القصيدة تساءل الشاعر حائرا بقوله :

" مالي مَالِي أسْكُبُ في الدِّنِّ شُفوفاً يَنطُفُ بالوجدِ ومَا يَعْمُرُ هذا القلبَ منَ الصَّحْوِ سُلافَهْ....
وبَقايَا الوشْمِ على الرَّملِ خُطَّى حائرةٌ تَحكي أزجالاً في حضرةِ مَنْ هامُوا....

والنورُ إذا ذابَ يُساقِي التَّاريخَ خُرَافَهْ....!" وثُرَيَّا ، ما بَينهُما ، طرْفُ غَزالَهْ...

تَمشِي نافِرَةً منْ مَرعاهَا... تتوجَّسُ في المَشتَى تبحثُ عن مَأْواهَا...

يحمل الشاعر بقايا الوشم والعلامات الظاهرةعلى الرمل مسؤولية خطواتها الحائرة لتحكي أزجالا لمن هام تحت الرمال وهذه صورة تشخيصية لامحالن منح فيها الحركة فجعلها تخطوحائرة وتحكي أزجالا، أما النور فيتابع عمله ويساقي التاريخ خُرافة غير غير واقعية ، واستمر متابعا في تشخيص الموجودات الطبيعة بحركة الغزالة النافرة من مرعاها تتوجس مرتابة في مِشيتها ، فجميع الأفعال أنسنة الموجودات واستعان الشاعربها .
"ياصاحبتي لألأةٌ أنتِ و(فاسُ) صَهيلُ العشقِ بِعينَيْكِ غَفَا " ، إنها صورة تشيخصيه جميلة فقد أنسن العشق وغفا ،والاغفاءة من من لوازم الآدمية.
ثم قال الشاعر:
" ما زلتُ هنا أنتظرُ تاريخاً يَحكي الرّمْلُ
ورَأْيُ العَيْنِ شتاتَ مَثَالِبِهِ.... لكنْ سأراقِبُ فيكَ عيونَ الليلِ المُرخَى

ويصوّر المشهد في القصيدة ،حالة فريدة من حالات الإسقاط، مكوّنة من مجموعة من تشكيلات صورية قائمة على التشخيص المهيَّأ للتعبير عن أحاسيس الشاعر وعواطفه ومشاعره، بل إن الشاعر ذهب إلى أكثر من ذلك، إذ استغل ما أسبغه على الرمل ليحكي تاريخا قديما مرّ عليه (فالرمل يحكي ويشهد) وهذا من الصفات الآدمية، ليحمله رؤاه وأفكاره وتأملاته في الحياة والناس وأنماط سلوكهم، فنهض الرمل بهذه المهمة التي أسقطها عليه الشاعر.وبذا تمكن الشاعر من استكمال تشخيص الليل المرخى الطويل فجعل له عيونا يرقب التاريخ عبر عيون الليل.

"لكن مرَّتْ حِقَبٌ....ومَشَيْتِ على كَتِفِي حُقُبَا....

وانداحَ الدهرُ يسابقُ وهْمَ رُؤاكِ تُسَاقِنِي"

في هذه الصورة أنسن الحقب وهي شيئ معنوي ، وجعلها تمر سريعا وتمشي على كتفه ،وتعاون معها الدهر فاسترسل في مسابقة وهم الرؤى.**وبذا أشركها الشاعر بالشعور الانساني ،**
أما (الشوق) فنادى قائلا :

"هُزّي يا صاحبتي بِالجَفْرِ حُرُوفَ البَدْءِ... ويُسائلُكِ العشقُ عنِ الشّعرِ إذا نسِيَ السّاقي
وتهادَى يشربُ أوهامَهْ.."

وهنا أنسن العشق ومنحه الصفة الآدمية فأطلق له لسانا من الخيال ليتسائل عن الشعرنسيه الساقي و الذي تهادى في شرب أوهامه، هذه هي صاحبة الشاعر التي تحملت أعباء ديمومة الحياة،وتحملت الصعاب ومشاركة الشاعر في كل حالاته، إذ حمّلها هموم البشر والسقم،و شاركه أحزانه وقلقه على الواقع المعيش في محيطه .

وكان من مكملات قصد (التشخيص) وهدفه، في مشاهد الصور، وهو إسباغ صفات (الآدمية) عليها واعتماد الحوار معها، فالحوار تصريح بأنسنة المتحاورين في الحس الانساني،والصور التشخيصية معروضة بأسلوب حواري. وهذا الأسلوب الملاحظ في صور الشاعر.

كشف الشاعر لنا الألفة الحميمة التي تتماثل في حيويتها، بين مظاهر الطبيعة بأنواعها والشاعر فصوّر كل ذلك التشخيص المتمثل في الحركة والقلق والنداء والمخاطبة وأفعال الأمر،التي تواشجت مع الصورة المادية لكينونة الطبيعة التي ألفت الفعل الانساني وتحاورت مع الشاعر،فبث آلامه وأحزانه وأشواقه، وبادلته مشاعر الود، وفي كل هذا لمسة انسانية تجلت في الصورالتي رسمها الشاعر، وإذا كانت هذه الصورة في صياغتها ومعناها تمتلك من العاطفة واللمسة الإنسانية المؤثرة في عمق المعنى وألمه ما يمنحها صفتي الجمال

لقد ابدع الشاعر في استدراج الصور التشخيصية متوسلا بكل ما حوله من الموجودات لتكتمل صوره على هذا النحو الذي يمنحها عمق الفكرة و المعنى و الجمال والطراوة.

وهذا التشخيص الذي أجاده في الاقتراب من معناه (ابن رشيق القيرواني) فقال:" ما الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف،ولا سبيل إلى حصره واستقصائه،وأحسن الوصف ما نعت به الشئ حتى يكاد يمثله عيانا للسامع " وإذا كانت الصور التشخيصية منبثة في شعر(المفدي) ،تشي بوضوح بصورها التشخيصية التي أنسنت مفرادتها، والحقيقة أن شعرية المفدي لاتبقَ فكرة محضة ثابتة، وإنما يقلب الحقائق إلى خيال، ليجعلنا أمام تجربة واحدة لافصل فيها بين ما ندركه وما نشعر به وما نتلقاه صياغة،أي أن القوالب الشعرية عنده لم تعد قوالب جاهزة، بل هي فيض الحياة ومن فيض النفس التي تعيش واقع الحياة ،والفكر يتجاوز حدود الأشياء إلى نقاطها الحاسمة، فالشاعر كان يبدع نتيجة حالة من التوحد الطريف بين المحسوس والمعقول وبين القلب والعقل، وهي نظرة تملكها الشاعر تملكا مطلقا بحقيقتها ومجازاتها.

هذه دلالات الأنسنة، فالتشخيص هنا يعد ركيزة أساسية تعبر وتصور تناسق مخيلة (المفدي)، وهذا التخييل الذي أضفى الحياة والحيوية، فأكسبت الأحذية الصفة الإنسانية من النداء والأمر لها،أما مايتضح من الأفعال الشعورية الإنسانية وتشاركية الأحذية مع الحس الآدمي، فجعل للأحذية النشوى حسا آدميا ، وجعل للأحذية لسانا من الخيال لترتشف من الملذات التي حولها، وهذا لن يكون إلا من أفعال الإنسان وسلوكه *فقال في هذه الصورة:*

" اَلأَحْذِيَةُ النَّشْوَى ارْتَشَفَتْ...! مِنْ عِينِ حُورٍ يَسْكُبْنَ الْفُرْجَةَ فِي

الْوِجْدَانِ كَأَنْفَاسِ التِّنِّينِ إِمَارَهْ....! تِيهِي....! "

يعقد الشاعر صورة تشخيصية ضدية بين أحذية الجند بأعراس العرب ، ونعال الجند في الزمن الماضي، وسمح لنفسه بأن يذّكر أمته بنعال الجند الذين يربضون على أرض العروبة التي مازالت تقطر برائحة المسك، وفي صورة تركيبة بين الصورة: الشمية والصورة التشخيصية، حيث أطلق العنان للصفات الانسانية مجددا فالعطر من لوزم البشر لامن لوازم الأحذية، وهنا تتجلى بوضوح المعاني الرامزة التي تستسر وراء كل لوحة ، ومقصد نستدل منه على نزعة تشخيصية من خيال شاعرنا, فقال:

"إِذْ تَقْطُرُ فِي "مَرْبَضِنَا"....! مِنْ بَعْضِ نِعَالِ زَمَانِ الْجُنْدِ بَقَايَا

رَائِحَةِ الْمِسْكِ، تُعَطِّرُ أَرْصِفَةَ الْمَوْتَى"

فالتشخيص هنا يجسد حالة شعورية ونفسية تستوجب أحوالها إضفاء الأحاسيس على غير العاقل والمعنوي، وأقصد تصوير المعاني المجردة بالمحسوسات فتضفي عليها صفة الآدمية،ولا مندوحة للشاعر إلا أن يشخص التاريخ فيناديه ويتوسله مستعطفا رحمته وعفوه وغفرانه وسماحته، ويكرر طلب العفو من التاريخ راجيا عفوه عن الفتيان الذين عمتهم الدهشة وهنا يُلمح إشارة الشاعر إلى العُقال من أبناء الأمة، فقال:

"يَا عَفْوَ التَّارِيخْ .. ! وَسَمَاحَتَهُ.... !اغْفِرْ وَجَعَ الزَّمَنِ الْمَخْصِيَّةِ فِي السَّاحِ فُحُولَتَهُ....!

يَا عَفْوَ التَّارِيخِ إِذَا اتَّسَاقَلَتِ الصُّحُفُ الْمَنْسِيَّةُ فِي الصَّمْتِ مَقُولَتَهُ....!

لَا تَلْعَنْ كُلَّ الْفِتْيَانِ إِذَا شَرِبُوا الدَّهْشَةَ فَانْبَلَجُوا....!"

في هذه الصورة قدرة تصويرية تتمثل فيها المعاني المجردة بظاهرة تشخيصية، فاعتمل خيال الشاعر ليقحم (التاريخ) ويشركه في الفعل الإنساني لتعمل على إثارة النفس، فلم يجد الشاعر إلا التاريخ ملجأ و ملاذا، شاكيا له المُصاب الجلل الذي تجلى في هذه الصورة التشخيصية ذات الأبعاد الفكرية والأديويولوجية المرتبطة بإشكاليات وجدليات الصراع التي تؤرق الشاعر،الأمر الذي سمح له بتشخيص معالم الموجودات "من حوله، وينهي الشاعر قصيدته متفائلا فقال : مَا أَرْوَعَ أَحْذِيَةَ الْجُنْدِ

إِذَ تَعْبُرُ كَالنَّسْمَةِ رَفْرَافَةَ أَنْدَاءِ فِي الدَّنَسِ ....!تَطْفُو ...(مَا شَاءَ اللهُ ....!)

كَفَرَاشَاتِ طُفُولَةِ شَعْبِي ، لَمْ يَغْفُ مِنَ الْوَسَنِ.....!"

لذلك لابد لأن يُقرأ المشهد في اللوحة هنا بقراءات جديدة ورؤية نقدية تهدف إلى استنطاق النص لتبرز مقولاته وجمالياته،والتفاعل مع الشاعر ومشاركته أحاسيسه،وما جاء من صور التشخيص لاينبو ان يكون سعة أفق في خيال الشاعر الفنان ،لأن في الخيال نزعة روحية تحقق ما يصبو اليه الشاعر للتحرر والانعتاق من أسار الواقع إلى عالم يمور بالحركة والحيوية كالفراشات الملونة المنطلقة بحرية متفائلا بالنشئ الجديد القادم الواعي لما حوله .

ومن جماليات الصور التشخيصية، ما قدمه الشاعر من مهارات لغوية إبداعية مكنته من التوغل في قصيدة (وَاحَاتُ َاشْجَارِ الْمِلْحِ فِي الزَّمَنِ الْآتِي)،فقد تمكن من تشخيص الزمن وجعله يستشعر الأشجان التي استحكمت في أحاسسيه وارتكزت كشجرة الدفلى، فمنح الأزهار إحساس الزهو، لكنها ليست أحاسيس جمال الزهر بعبيرها ورقتها ،إنما انقلبت جمالياتها لتكون كالشظايا في طاقية العسس، فجعل لها من الحس الادمي ما مكنها

أن تغني وتحرس ، وهذا من فعل الإنسان ، وهنا مجاز جميل بأن اسبغ الشاعر هذه الأفعال البشرية على الأشجان، وامتلك قدرة خلاقة على إنشاء الأنماط اللغوية والأطر الدلالية هدف بها الشاعر تشكيل رؤاه ومواقفه بكيفية تركز على تفصيلات أخرى تنبث في ثنايا القصيدة ،فقال:

" أَشْجَانُ الزَّمَنِ الْآتِي تَنْبُتُ كَالدِّفْلَى....! فِي شُرْفَةِ أَضْغَاثِ حُرُوفِ النَّشْأَةِ ....!

تَزْهُو أَزْهَارُ شَظَايَاهَا فِي طَاقِيَةِ الْعَسَس....!تَتَغَنَّى فِي خُلْجَانِهِ أُنْثَى حَارِسَةُ الرَّبْعِ كَأَشْجَارِ الْمِلْحِ سَرَايَا"

ومن مظاهر التشخيص،أن وصل الشاعر إلى تثبيت علاقة بين الموجودات والفكر، فتمثل تنويعا لغويا ووسيلة تكتسب المفردات بها طاقة إيحائية متجددة، وهذا ما نلمسه في صورة تشخيص شجرة الملح والدخول إلى أعماقها،حيث منحها الشاعر الحس الآدمي بقوله (تنماث)، فشجرة الملح ذلت ولانت لما أصابها من الوجل والفزع، وهذا فعل شعوري آدمي بصياغة مركزة وشفيفة تتميز به مشاعر الإنسان فقط، وزادها جمالا بأن استنزف مشاعرها فأبكاهاعلى " وَأُدَ نُقُوشِ مَفَاتِنِهَا"، وهي صورة تاريخية جاهلية استرجاعيه استدعاها الشاعر و استند عليها ليعبر عن مدى القهر الآدمي، ولايكتِف بهذا الألم بل يفتن في صورة تشخيصية مرتبطة بحالة الشجرة الانفعالي فـــ "تَغْرَقُ فِي طُوفَانِ الْحُزْنِ" ،ومن الحتمي بان الحزن إحساس شعوري انساني، فقال فيها:

أَشْجَارُ الْمِلْحِ....! تَنْمَاثُ عَلَى وَجل

" تَبْكِي وَأُدَ نُقُوشِ مَفَاتِنِهَا....! مِمَّنْ سَلَكَ الْعِشْقَ طَرِيـقَ الْوَجْـدِ...! بِأَصْقَاعِ مَجَاهِلِهَا....!

قَدْ تَغْرَقُ فِي طُوفَانِ الْحُزْنِ بِأَحْدَاقِ زَمَانِ الْمَرْجِ صَقِيعَا....! نَاءَ الزَّمَنُ الْآتِي فِي الرَّبْعِ بِأَثْقَالِ الْكُرَبِ...!"

ويتابع الشاعر صورة الزمن صاحب الأشجان،ويزيدعليها إحساسا آدميا آخر فجعل للزمن (الأحداق) بقوله: "بِأَحْدَاقِ زَمَانِ الْمَرْجِ صَقِيعَا..!"والأحداق لا تكون إلا للآدمي،والنأي لايكون إلا من صفات سلوك البشروتصرفاتهم، لذلك فألفاظ (المفدي) لا تظل أسيرة المعجم، بل شكلت طاقات تنبث منها شعرية المعاني والصور الخلاقة والطيعة التي لامست مشاعره فيعيد تركيبها وصياغتها برؤيته وأحاسيسه الشعورية الخاصة به،ويتضح من هذه الصور المبتكرة الدور الأساسي الذي لعبه التشخيص في التنسيق والربط بين المعاني والدلالة والصور في أن يحلق الشاعر بخياله كيفما يشاء ، ويسبغ الصفات والأفعال الحية على ما لاحياة له، وهنا قيمة الخيال القادر على الجمع بين الأشياء المتباينة تنسجم معا في صور فنية تشخيصية .

ونتابع مظاهر الأنسنة في قصيدة(عُشُّ ألقُبَّرَةِ وَبوَّاباتُ الرِّيحِ ـــ الجزء الثاني) ،حيث يسترعي انتباه القارئ صورة تشخيصية لمخاطبة القُبرة والمناداة عليها،فالتشخيص واضح من خلال المخاطبة والنداء بحرف النداء المخصص للعاقل ،وتبدو أفعال الأمر الموجه لها بقوله : (انتظري، وأقلي،ويكفيكِ،..) وبذلك فإن الشاعر يسقط أحاسيسه على القبرة في مشاهد القصيدة، ويتخذها رمزا ليعبر بهاعن شعوره وآلامه على الوطن، فحينما لجأ الى التشخيص والرمز والاسقاط في هذه الصورة، لأنه ركز على عملية التخييل، واستخدم الإمكانات الشعورية والتوتر النفسي المختزن فيه المصاحب لمجموعة صوره وخياله، فباغت القارئ وأمتعه وفتح أفق خياله في أنسنة ما حوله .فقال: " يَاقُبَّرَةَ الْوَادِي ... انْتَظِرِي....وَأَقِلِّي عنكِ النقْرَ بجدران الوطن..!

يَكْفِيكِ المَسْقَى ....غَاصَتْ قَدَماكِ ... بأنهارِ العَفَنِ..!"

إنه الإحساس بالألم وثورة الغضب لما يراه الشاعر في الواقع واستشعره، وهذا بسبب عاطفته القوية والإثارة الوجدانية التي تدفعه إلى البوح عما في نفسه عبر صوره التشخيصية للأشياء من حوله.وتتجلى اللمسة الإنسانية في تماهي الشاعر مع القبرة، فتنكشف لنا الألفة الحميمية التي تتماثل بمخاطبته للقبرة ، وإسقاط مشاعره عليها لتنوب عن نفسه حينما يأمرها بالكف عن النقر بجدران الوطن، والاسقاط يستلزم ذكاء الشاعر وقدرته للنفاذ إلى ما وراء الظواهر المحسوسة من الموجودات من حوله، و بذا يلمس القارئ نبضات الحياة للتواصل معها، وتحريكها باتجاه التمازج والانصهار مع نبضات الشاعر لتعبر عن مشاعره صورا وأخيلة ورؤى تحكي حاله وتشاطره ما في أعماقه وضميره .

ويتابع الشاعر نداء القبرة مفصحا عن دواخله ونظرته الواقعية، مُسقطاعليها أحاسيه وعواطفه، ولما فاحت رائحة الريبة في عشها، أركسها الواقع وبددها وقلب حالها رأسا على عقب لكثرة الأهوال والمحن المحيطة ، وبذلك فقد شخص الشاعر القبرة وناداها بحرف النداء للعاقل وصيّر منها إنسانا عاقلا يستوعب ما حوله ،إنها حالة الانفعال العاطفي الذي حقق الانفعال العقلي، حيث سار بالنص لتحقيق شرط الجمال فيه، وأقام إبداعا في علاقات جديدة ولابد للمتلقي أن يتحقق بتمعن لاستجابة غايات الصورة التشخيصية في النص، فقال :

" يَا قُبَّرَةَ الْوَادِي انْتَظِرِي....! رَائِحَةُ الرِّيبَةِ فِي وُكُـنَاتِكِ فَاحَتْ ...! أَحُقُوقَ الْعَابِرِ كُنْتِ صَدَى...

أَمْ بَعْضُ بَقَايَا الْعَفَنِ...!؟ لَمَّا أَرْكَسَكِ هَوْلُ يَقِينِ الْإِحَنِ...."

وفي قصيدة(خَيْمَةُ الْمَجْذُوبِ وَأَحْبَابُ الْأَلَقِ)ينقلنا الشاعر في هذا المقطع إلى الطبيعة الكونية، لتحميلها مشاعر الانسان وسلوكياته بلغة تشخيصية، وحيثما جال المتأمل في شعر المفدي ،يجد أن وسيلة الشاعر في رسم صوره أنسنة مفردات الطبيعة، ومنها توسله بالليل للإعراب عن معاناته ، فحمّل الليل على سبيل التشخيص ما يدل على شدة المعاناة ، وجعل منه إنسانا يعتصم معترضا واقفا بباب الشعراء وهذا من لوزام الانسان وفعله،ولم يكتفِ بذلك إلا ان أنسن الشعر أيضا ودغدغ مشاعره ليجعله يحس بالغيرة، وهنا أنسنة واضحة بل تعليل منطقي لسبب الغيرة، فقال:

"وَاعْتَصَمَ - اللَّيْلُ - بِبَابِ الشُّعَرَاءْ....!

لِيَغَارَ الشِّعْرُ مِنَ الْقُسْطَاطِ وَمَا يَعْمُرُهُ مِنْ أَحْجَارِ الْأُمَرَاءْ...! "

ومن المعنويات التي شخصها الشاعر(الزمن) الذي عبر عنه (بالزمن الصامت)، وبث فيه الآدمية على نحو يحس المتلقي معه أنه حقاً أمام فعل إنساني،هذه الصورة التشخيصية التي قام عليها المشهد وما تشي بها صوره لتصنع تشكيلاته الاستعارية ،ولاسيما التشكيلات التي تُؤنسن بها حدي الصورة، وفي هذا اعتمد الشاعر على صورة فنية مركبة،صورة تشخيصية للزمن الصامت وصورة سمعية، كل منهما ترفد الأخرى وتعني نظرة عميقة لرؤية الشاعر للزمن الصامت آملا بزواله، هذا الصمت الذي يرتكز على أذن خيال الزمن يشعرنا بالصورة السمعية ، راجيا بانشاد المجذوب آملا للقادم ،فقال:

"أَلِأَنَّهُمْ الْغَاوُونْ...؟يَغْتَبِقُونَ كُؤُوساً قَتَرَهْ ....! لَكِنَّ الزَّمَنَ الصَّامِتَ، قَدْ يَنْدَحِرُ...

وَلَعَلَّ بِإِنْشَادِ الْمَجْذُوبِ الْعَاشِقِ مَا يُدَّخَرُ..."

وإذا كانت هذه الصورة في غاية البساطة والسهولة، في صياغتها ومعناها، فإنها تمتلك من العاطفة واللمسة الإنسانية المؤثرة ما يمنحها صفتي الجمال والتأثير، حتى لتكاد تكون إحدى أهم وسائل جماليات الأداء البياني فيها.فمن خلال هذه الاستعارات التشخيصية المتقدمة، بدت براعة الشاعر في أنسة الموجودات من حوله فبث في الصورة الحركة والحيوية،عبر ما حمّلها من صفات وسجايا ومشاعر تؤدي إلى تشخيصها، فُتشخص حينما يغلفها بالفعل الانساني فيحيلها إلى بشر، وليس من اليسير أن يرتفع الشاعر بهذه الموجودات إلى السمو الإنساني،إلا إذا شعر نحوها بعاطفة جعلته يأنس فيها الطواعية والقدرة على أن تقوم مقام فعل الإنسان وأحاسيسه،فكانت إحدى وسائل التنفيس والإسقاط لما يعانيه الشاعر ويكابده من اضطرام الألم في نفسه.

وختاما فإن الشعر عند(المفدي) ما هو إلا حسرة شاعر مصاب في ألم معاناة الواقع، يكشف عن منابع التوتر والتأزم الذين تصورهما القصيدة، يتناسق بالفكرة والصورة وتواشج الألفاظ بالمعاني. ويتآلف بعناصره ويتماسك عضويا في قوام يحقق الوحدة والانسجام.

الخاتمة :

- وفرت الصور التشخيصية للشاعر (أحمد المفدي) فرصة لتكوين معجمه الشعري الثري، قوامه ما يتشكل من تفاعل مفردات وتعابير الموجودات والطبيعة والإنسان ، فلولا هذا الالتحام و التماهي معها لم يتح للشاعر استحضار كل هذه الأسماء والصفات لتغني معجمه الإنساني في تصوير الأنسنة في جمله الشعرية .
- وجد (المفدي) نفسه في الطبيعة: جبالها وليلها ونهارها ووديانها وأنهارها وطيورها... فكل ماجاء من مفردات الأشياء من حوله عكست مخايل الشاعر وأحاسيسه وعواطفه وتجاربه في الحياة.
- ثم إن المفدي يُنيب الطبيعة والموجودات والمعنويات لتحكي عنه ما يريد، ويُسقط عليها تجاربه فتشاركه أحاسيه وآلامه ورغباته لتنوب عنه في مقولاته، وأكثر ما يصورها بأنها تأسى لأحزانه وتبكي لمآسيه ويكلفها الفعل والسلوك الآدمي،فكانت ظاهرة الإسقاط بمعناها النفسي العاطفي.
- وملحظ آخر جدير بالاهتمام، يتمثل في أن الموجودات والطبيعة تظهر في شعره بالنزعة الإنسانية، فتجلت له صديقاً وفياعركته التجارب، أكثر مما تظهر بحالها الكوني وبذا انقلبت المفردات بطواعية كما يرديها الشاعر .
- ظهر في تضاعيف البحث افتنان الشاعر في تشكيل صوره على أن تغلغل الصور التشخيصية وأنسنة الموجودات والطبيعة وظواهرها التي شكلت بدورها ظاهرة متميزة في أساليب الأداء الفني لدى الشاعر.
- لذا فالتشخيص في صوره،قد اعتلى روعة المعنى والنسيج، فجاء مفعماً بالعواطف الجياشة المشبوبة بالمصداقية والألم، في جميع جمله الشعرية وتشكيلاته الصورية.

- استوقف البحث في هذا الديوان كثرة الاقتباسات من القرآن الكريم والروح المتصوفة والرمزية المغرقة في الغرائبية والعجائبية التي تتماهى بسلاسة مع موسيقى إيقاعية خفية لتشي بتجليات صوفية مستندا على طاقاته الشعرية وصوره التشخيصية الفنية فتتعالق مع كوامن النفس من حب وجمال وعشق لتطهير نفس العاشق .

وبذلك كانت الصورة التشخيصية إحدى وسائل التصوير الفني عند الشاعر في التعبير عن رؤاه وأفكاره ومشاعره حينما أسند صوره كلها إلى غير البشر على سبيل التشكيل الاستعاري،وإن جميع الصور المتمثلة في شعر(د. أحمد المفدي) وفي صوره التشخيصية يجب أن تفهم لا على أنها خيالية وجمالية، بل هي صور حيّة فيها الحيوية، بعثت الحركة في الصورة الشعرية وجعلته سهل التذكر، وممتعا فكان فنا راقيا في تجويده للصورة وما تمنحه من جماليات أداء المعنى.

الهوامش: